

## فضل القرآن وبعض آداب تلاوته



في مستهل شهر رمضان الكريم نستعيد وصف رسول الله محمد (ص) للقرآن حيث يقول فيما رواه الترمذى: "كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعديكم، وحكم ما بينكم، وهو الفضل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن يتغى الهدى في غيره أضله الله.. هو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيف به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، وهو الذي لم ينته الجن إذ سمعته حتى قالوا: (قُلْ أَوْحَيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَابًا \* يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَدْنَا بِهِ) (الجن/ 1-2)، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم". هذا القرآن: هو كلام الله المعجز المنزلي على خاتم الأنبياء والمرسلين بوساطة جبريل (ع)، المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، المختتم بسورة الناس. وفي فضائل القرآن وعلومه قال الله - سبحانه وتعالى - في سورة فاطر: (إِنَّ الْذِينَ يَتَّلَوُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سَرِّاً وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَرْجِيَةً لَّنْ تَبُورَ) (فاطر/ 29). وفي شأن تدبر القرآن وفهمه قال الله في سورة محمد: (أَفَلَا يَتَدَدَّبِرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالِهَا) (محمد/ 24). وقال الله في سورة الأعراف: (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا

لَعَلَّكُمْ تُرْهِمُونَ) (الأعراف/ 204)، توجيهًا وتعليمًا لأمة القرآن في أدب مجلس القرآن. وفيما رواه البخاري وغيره عن رسول الله (ص) في شأن القرآن: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه". قوله فيما رواه الحاكم: "إن هذا القرآن مأدبة الله؛ فتعلموا من مأدبة ما استطعتم". وهذا نحن في شهر القرآن.. ينبغي أن نتوافق بتلاوته وبالعمل به. ذلك أن من لم يقرأ القرآن فقد هجره، ومن قرأ القرآن ولم يتذمر معانيه فقد هجره، ومن قرأه وتذمره ولم يعمل بما فيه فقد هجره. ذلك ما يشير إليه قول الله - سبحانه - في سورة الفرقان: (وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا) (الفرقان/ 30). وإنما لحق على كل مسلم ومسلمة تلاوة القرآن وترتيله، وحفظ بعض آياته بمقدار ما يؤدي به صلواته على الأقل، ففي سورة المزمل قوله سبحانه: (وَرَأَتِّمْ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا) (المزمل/ 4). وفي سورة الإسراء قوله: (وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَدْرِيلًا) (الإسراء/ 106). والترتيل: تفحيم ألفاظه، والإبانة عن حروفه، وأن يسكت بين النفس والنفس حتى يرجع إليه نفسه. ومن هداه الله إلى التلاوة - عليه أن يقرأ القرآن بكمال الترتيل. وعلى المسلم حين يتلو القرآن أن يأخذ نفسه وأهله بما فيه من أحكام، تلك هي المسؤولية التي حملها الله لل المسلمين في قوله - تعالى - في سورة التحريم: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوْلَهُمْ وَأَهْلِكُمْ زَارًا وَقُودُهُمَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ) (التحريم/ 6). قوله - سبحانه - في سورة طه: (وَأَمْرُهُ أَهْلَكَ بِالصَّلَاتِ) (طه/ 132). وفي شأن الأولاد حدد رسول الله (ص) المسؤولية في قوله الذي رواه أحمد وأبو داود: "مرروا صبيانكم بالصلاحة لسبعين، واضربوهم عليها لعشرين". ولا شك أن تعليم الصلاة يقتضي تعليم الطهارة على نحو ما جاء به القرآن في سورة المائدة وما جرت به أحاديث رسول الله (ص). والطهارة لازمة عند مس المصحف بحمله أو التلاوة فيه عند جمهور الفقهاء على ما يشير إليه قوله - سبحانه - في سورة الواقعة: (إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ \* فِي كِتَابٍ مَكْدُونٍ \* لَا يَمْسِسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ \* تَدْرِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الواقعة/ 77-80). وإستثنى الجمهوء من هذا الصبيان الذين يتعلمون القرآن وعلمهم، فأجازوا له المس على غير وضوء. وقد يستحب العلماء الطهارة للتلاوة القرآن من غير مس المصحف، طهارة كطهارة الصلاة والتزيين بالملابس، كما يتجمل للقاء الناس؛ إذ تلاوة القرآن مناجاة الله بكلامه فكانه في الصلاة، كما يستحب استقبال القبلة حال التلاوة، والتعود قبل القراءة والنطق بالبسملة وعند بدء كل سورة جمعاً بين أقوال الأئمة في شأنها. ويحرم على الجن والحيوان والنساء تلاوة القرآن ومس المصحف بحمله. ولقد روى البيهقي في دلائل النبوة أن النبي (ص) كان يدعو عند ختم القرآن بقوله: "اللَّهُمَّ إِرْحَمْنِي بِالْقُرْآنِ وَإِعْلَمْهُ" كان يدعوه عند ختم القرآن

لِي أَمَا نَا وَنُوراً وَهُدِي وَرَحْمَة، اللَّاهُمَّ ذَكْرِنِي مِنْهُ مَا نَسِيْتُ، وَعَلِمْنِي مِنْهُ مَا جَهَلْتُ، وَإِرْزَقْنِي  
تَلَوْتَه آنَاء اللَّيل، وَاجْعَلْه لِي حَجَة يَا رَبَ الْعَالَمِين". المَصْدَر: كِتَاب (مَنْهَجُ الْإِسْلَامِ فِي  
الْتَّرْبِيَّةِ وَالْإِصْلَاحِ)